الكنيسة في سفر الخروج والأسفار اللاحقة

الأرشمندريت يعقوب خليل
جامعة البلمند

مقدّمة

لقد تبنّت المسيحيّة في أسفار العهد الجديد لفظة ἐκκλησία، "الكنيسة"، دون سواها، والتي سبق وأن وردت في الأدب اليونانيّ وفي ترجمة العهد القديم إلى اليونانيّة التي تسمّى "السبعينيّة". لكن ما لبثت المسيحيّة أن تماهت مع المدلول اللاهوتيّ للمصطلح "الكنيسة"، فأدّى هذا الارتباط القويّ بينهما إلى اندثار أيّ استعمال للفظة ἐκκλησία خارج المسيحيّة. ولم يزل خافيًا على الدارسين سبب اختيار هذا المصطلح دون سواه، واكتسابه مدلولاً لاهوتيًّا لا يضاهي أهمّيّته أيّ مصطلح مسيحيّ آخر. فما هو سبب اختيار لفظة ἐκκλησία في الأناجيل وسائر كتب العهد الجديد، للإشارة إلى جماعة المؤمنين المتّحدين بالربّ يسوع مع بعضهم في شركة أسراريّة ووحدة تامّة؟ هل ميّزت الترجمة السبعينيّة قبل ذلك هذا المصطلح اليونانيّ عن مرادفاته التي ترجمت أيضًا المفردة العبريّة ذاتها، أم أنّه لا يوجد أي دليل منطقيّ من الترجمة السبعينيّة يخبرنا عن سبب التنويع في ترجمة المصطلح العبريّ عينه تارةً بلفظة ἐκκλησία وتارةً بلفظة συναγωγή أو مثيلاتها؟[١] وهل اكتسب هذا المصطلح مدلولاً لاهوتيًّا مميّزًا قبل تبنّي المسيحيّة له؟ كما ستساهم هذه الدراسة إلى حدّ ما في حلّ مسألة كيفيّة ترجمة المصطلح ἐκκλησία عندما يرد في العهد الجديد[٢].

تأتي هذه الدراسة لكي تتقصّى الجذور اللغويّة والتاريخيّة واللاهوتيّة لاستعمال المصطلح ἐκκλησία، لا سيّما في الأسفار الخمسة من العهد القديم، وفي سفر الخروج على الأخص، علمًا، وهنا الغرابة، بأنّ هذه اللفظة اليونانيّة لا ترد البتّة فيه.

إنّ معرفتنا بخصائص مفردات الأسفار الخمسة هي محدودة بالأمثلة عن الاستعمالات اللغويّة المتوفّرة. لذا نحن بحاجة إلى كلّ ما وصل إلينا من المفردات اليونانيّة من حقبات وأمكنة مختلفة. فإنّه لا يتوفّر لدينا كمٌّ كافٍ من الاستعمالات اللغويّة من الحقبة الزمنيّة والبقعة الجغرافيّة ذاتهما التي نشأت فيهما الأسفار الخمسة، لكي ندرسها في الإطار الاجتماعيّ والثقافيّ عينه. لذا تتظهّر الصورة غير مكتملة. ناهيك عن أنّ اكتشاف الاستعمالات المتوفّرة على نحو دقيق هو أمر صعبٌ للغاية، لأنّ القواميس لم تجمع بشكل كامل المادّة الباقية إلى اليوم.

---

[١] هذا ما يصرّح به شراغي:

SCHRAGE, art. "συναγωγή», in Gerhard KITTEL, *Theological Dictionary of The New Testament*, vol. 7, translated by Geoffrey W. Bromiley, Eerdmans – Grand Rapids, 1971, 802.

[٢] للمزيد حول هذه المسألة راجع:

K. L. SCHMIDT, art. "ἐκκλησία », in Gerhard KITTEL, *Theological Dictionary of The New Testament*, vol. 3, translated by Geoffrey W. Bromiley, Eerdmans – Grand Rapids, 1965, 502-503.

لفظة ἐκκλησία في الفترة الهلّينيّة

قبل أن تدخل لفظة ἐκκλησία في الترجمة السبعينيّة، وقبل أن يؤثرها كتّاب العهد الجديد على سواها، كانت تشير في الاستعمال اليونانيّ القديم إلى اجتماع الشعب في فترات زمنيّة متكرّرة للبحث في أمور تخصّ شؤون المدينة. حينها دلّت على اجتماع كافّة المواطنين (ἔκκλητοι) لاتّخاذ القرارات الهامّة[٣]. وفي بعض الأحيان، كانت تستعمل لفظة "أغورا" المرادفة لها، على سبيل المثال. وقد تطوّر استعمال هذه الأخيرة حتّى صارت تُطلق كتسمية لمكان محدّد من المدينة[٤]، بينما احتفظت ἐκκλησία بمعناها الأساسيّ، أي اجتماع المواطنين. ونادرًا، وفي حالات استثنائيّة محدودة، كانت تستعمل في الحديث عن الاجتماعات الدينيّة، التي كان يُطلق عليها بالأحرى كلمات مثل: Θίασο, ἔπανος, ἑορτή, σύνοδος, κοινόν[٥]

أمّا كلمة συναγωγή، المشتقّة من الفعل συνάγω، فقد كان لها منذ ظهورها في القرن الخامس قبل الميلاد استعمالات متنوّعة: تجميع الكتب، أو الممتلكات، أو الرسائل، أو الحصاد والفاكهة، وتجميع حشود من البشر أيضًا. ومن القرن الثاني قبل الميلاد – أي مئة عام بعد الشروع في الترجمة السبعينيّة – أصبحت تُستعمل في الحديث عن اجتماعات مرتبطة بالطعام المشترك، وبخاصّة خلال الأعياد، الذي تقيمه جماعة عابدة على نحو حصريّ، وهذا في استعمالها اللازم غير المتعدّي إلى مفعول به.

يستحيل علينا أن نجد في اليونانيّة الكلاسّيكيّة دليلاً قاطعًا وواضحًا عن تطوّر استعمال كلمة συναγωγή من اسم الفعل إلى مكان الاجتماع. لذا يُحتمل نشوء هذا المدلول في الأوساط اليهوديّة أوّلاً.

لفظة ἐκκλησία في الترجمة السبعينيّة

ترد لفظة ἐκκλησία في الترجمة السبعينيّة حوالى مئة مرّة، وفي ٣ حالات منها ليس لها أي مقابل في النصّ الماسّوريتيّ العبريّ. فالمصطلح اليونانيّ ἐκκλησία يُترجم دائمًا المصطلح العبريّ "قَهَل"[٦]. بيد أنّ كلمة "قَهَل" لا تُترجم بـــ ἐκκλησία فقط وعلى سبيل الحصر. في أسفار التكوين واللاويّين والعدد، على سبيل المثال، تُترجَم "قَهَل" ٢١ مرّة بكلمة συναγωγή. وفي حالات أخرى تُستعمل كلمات موازية لـــ συναγωγή مثل ὄχλος، πλήθος.

أمّا كلمة συναγωγή، فهي تظهر في بعض الأحيان أيضًا في ترجمة الكلمة العبريّة "عِدا"، التي نادرًا ما تترجم بكلمات أخرى (δήμος, ἐπισύστασις)

والجدير بالملاحظة هو أنّه بينما اعتُمدت كلمتا ἐκκλησία وسυναγωγή ومشتقاتهما الفعليّة في ترجمة لفظة "قَهَل" ومشتقّاتها الفعليّة، لم تُستعمل ἐκκλησία البتّة لترجمة لفظة "عِدا". لعلّ سبب ذلك هو أنّ لفظة ἐκκλησία قد تكون مبتكرة من ترجمة إيتيمولوجيّة لجذر فعل "قَهَل" (etymologyzing). فربّما تأتي كلمة

---

[3] *Ibid*, 513.

[٤] وهذا التفصيل يهمّنا، لأنّها سابقة عن انتقال معنى مفردة تشير إلى اجتماع الشعب لكي تصبح تسمية لمكان الاجتماع.

[5] K. L. SCHMIDT, art. "ἐκκλησία", 516.

[6] *Ibid*, 527.

"قَهَل" من "قول"، التي تعني بالعربيّة "صوت"، فتعني النداء إلى الاجتماع وعمليّة تجمّع الشعب، لتدلّ بالمعنى العامّ لها على حشد الجمع (*Dictionnary* 292). على هذا الأساس تمّ اختيار كلمة ἐκκλησία لأجل اشتقاقها من الفعل ἐκ+καλέω، الذي يعني التحدّث إلى شخص آخر بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لكي يقترب منّا مكانيًا أو في علاقة شخصيّة.

بسببٍ من هذا تميّزت ἐκκλησία بمدلول محدّد وواضح، بينما كانت συναγωγή تؤدّي المعنى العامّ المقصود بالكلمتين العبريّتين "قَهَل" و"عِدَا".

συναγωγή و ἐκκλησία

وهنا يُطرح السؤال عن سبب تنويع السبعينيّة في ترجمة "قَهَل" بين ἐκκλησία وσυναγωγή. هل باستطاعتنا أن نحدّد طابعًا معيّنًا، تمّ على أساسه تفضيل لفظةٍ على أخرى في ترجمة اللفظة العبريّة "قَهَل"؟ إلى اليوم، لم تقدّم أيّ إجابة على هذا السؤال بالرغم من أهمّيّته.

للمساهمة في إيجاد جواب على السؤال قمنا بدراسة جميع آيات العهد القديم التي ترد فيها لفظة "قَهَل"، وعلى الأخصّ في الأسفار الخمسة. ما لاحظناه في جميع حالات ورودها في الأسفار الخمسة، ومن دون أيّ استثناء، وكذلك في الأسفار الأخرى عامّة مع استثناءات نادرة، أنّه عندما يتعلّق الأمر حصرًا بالتئام الجماعة في حضرة الله للعبادة، تُفضّل السبعينيّة لفظة ἐκκλησία في ترجمة اللفظة العبريّة "قَهَل". أمّا عندما تشير الكلمة إلى اجتماع/تجمّع للشعب، أو إلى جماعة الشعب بشكل عامّ، تعتمد السبعينيّة دائمًا كلمة συναγωγή.

وفي سفر الخروج، الذي يدرسه مؤتمرنا، لا ترد كلمة "قَهَل" بالمعنى التقنيّ، أي بالإشارة إلى اجتماع الشعب للعبادة أو في حضرة الله. لذا في كلّ من الحالات الثلاث التي ترد فيها "قَهَل"، آثرت السبعينيّة ترجمتها بلفظة συναγωγή، لا ἐκκλησία.

ولكن هناك لفظة يونانيّة على صلة إتيمولوجيّة بكلمة ἐκκλησία، اعتمدتها السبعينيّة في ترجمة لفظة عبريّة مرادفة لـــ"قَهَل". لقد خصّصت السبعينيّة الاسم κλητή لترجمة الاسم "مِقْرَأْ"، لا لأنّه يعطي بدقّة معنى المفردة العبريّة في اللغة اليونانيّة، بل فقط لأنّه يشتقّ من جذر الفعل اليونانيّ καλέω المرادف لجذر الفعل العبريّ "قَرَأْ" الذي يشتقّ منه الاسم "مِقْرَأْ". وهذا مثال آخر على الترجمة الإيتيمولوجيّة، لأنّه من النادر أن تستعمل اليونانيّة الكلاسّيكيّة هذا الفعل ومشتقّاته في مخاطبة الآلهة. لقد استمدّ الفعل καλέω هذا المعنى في ما بعد من السبعينيّة والديانات السرّيّة، والعهد الجديد[٧]. وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ كلا المفردتين اليونانيّتين، κλητη وἐκκλησία، تشتقّان من جذر الفعل καλέω الذي يُترجِم إتيمولوجيًّا كلا الفعلين "قَرَأْ" و"قَهَل"، كما أشرنا أعلاه. وهذه القرابة بين المفردتين κλητή وἐκκλησία ستساعدنا على فهم الخلفيّة اللغويّة والدينيّة لتمييز الترجمة السبعينيّة لمصطلح ἐκκλησία عن سواه من المرادفات.

مشتقات فعل καλέω في الترجمة السبعينيّة

يعطي الاسم "مِقْرَأْ" نتيجة الفعل "قَرَأْ"، ويُطلق أوّلاً على الاجتماعات العباديّة حصرًا، وثانيًا كنتيجة للقراءة جهارًا (نحميا ٨: ٨). وفي السبعينيّة، تُستعمل الأفعال καλέω (حوالى ٣٠٠ مرّة) وεπικαλέω (حوالى ١٥٠ مرّة) وπροσκαλέομαι (١١ مرّة) لترجمة الأفعال من جذر "قَرَأْ"، الذي نادرًا ما يُترجم بكلمات أخرى (مثل κράζω).

في الترجمة السبعينيّة يقتصر الاستعمال غير التقنيّ للصفات κλητός وκεκλημένος على معنى "مدعوّ"، لتشير إلى من هو مدعوّ إلى مناسبة ما من قبل أحدهم.

ولكنّ المصطلح التقنيّ κλητή ἁγία يرد في أسفار الناموس الخمسة فقط، بدءًا من سفر الخروج. وقد ظهر أوّلاً عند تأسيس تقليد الفصح، حين يعطي الربّ موسى أحكام تعييد الفصح. وفي التفاصيل نقرأ أنّ الفصح يؤكل في أوّل أيّام الفطير، وفي ذلك اليوم يكون "محفل مقدّس"، أي اجتماع مقدّس. ومصطلح "محفل مقدّس" هي ترجمة للمصطلح العبريّ مِقْرَأْ-قُدِشْ، الذي تترجمه السبعينيّة حيثما ورد في الأسفار الخمسة بالمصطلح κλητή ἁγία[٨] أو بالعبارة الأخرى التي توازيه ἐπίκλητος ἁγία، وهذه الأخيرة ترد حصرًا في سفر العدد[٩]. والاستثناء الوحيد لترجمة مِقْرَأْ-قُدِشْ بهذين المصطلحين هو κληθήσεται ἁγία الذي نجده في خر ١٢: ١٦، أي المرّة الأولى التي يرد فيها هذا المصطلح في العهد القديم. ويعود ذلك إلى رغبة المترجم في التنويع بترجمة المصطلح العبريّ الذي يرد مرّتين في الآية ذاتها. وقد اختار المترجم فعل καλέω المترجم عندما أراد تجنّب استعمال الاسم κλητή مرّتين.[١٠]

للإسم العبريّ مِقْرَأْ ثلاث معانٍ: ١) المجمع / الاجتماع / المحفل، ٢) الجماعة، ٣) القراءة جهارًا. وفي سياق خر ١٢: ١٦ وما يوازيها في الأسفار الخمسة يصحّ المعنى الأوّل (١). لذلك تسوغ ترجمة المصطلح العبريّ مِقْرَأْ-قُدِشْ (وهذا هو المعنى المقصود في ترجمته اليونانيّة κλητή ἁγία) بالعبارة "مجمع مقدّس، اجتماع مقدّس، محفل مقدّس". ويكون هذا الاجتماع مقدّسًا لأنّه يلتئم في اليوم المحدّد للتعييد للربّ كفريضة أبديّة (رج خر ١٢: ١٤).

عندما انحصر استعمال κλητή لتُطلَق في ما بعد على الاجتماعات في السبوت الأسبوعيّة وسبوت الأعياد الخمسة الكبرى التي يُضرب فيها بالبوق، صارت لفظة ἐκκλησία تُستعمل في فترة لاحقة عام يدلّ على اجتماع الشعب أمام الله لعبادته. لذا يصحّ القول إنّ ما يُقصد بلفظة ἐκκλησία بالمعنى العامّ نجده في سفر الخروج في المصطلح κλητή الذي يختصّ باجتماعات معيّنة.

---

[٨] خر ١٢: ١٦؛ لا ٢٣: ٢-٤، ٧-٨، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣٥-٣٧؛ عد ٢٨: ٢٥.

[٩] عد ٢٨: ١٨، ٢٦؛ ٢٩: ١، ٧، ١٢.

[١٠] إنْ لم يكن القصد من هذا الاستعمال التنويع يصبح معنى الجملة غامضًا؛ فمن الناحية اللغويّة، تعني الجملة كما ترد في السبعينيّة "يُدعى مقدّسًا"، وهذه الترجمة الحرفيّة لا تتوافق مع مدلول المصطلح العبريّ مِقْرَأْ-قُدِشْ.

تفسّر هذه القرابة بين المصطلحين ἐκκλησία وκλητή ἐκκλησία استنتاجنا أعلاه، أنّ السبعينيّة ميّزت ἐκκλησία عن مرادفاتها اللغويّة التي تترجم "قَهَل" وخصّصتها للاجتماعات المقدّسة، حين يحضر الشعب أمام الله القدّوس للعبادة كما في أي "מִקְרָא־קֹדֶשׁ"[١١]، أو للقيام بأيّ عمل دينيّ له طابع عباديّ، كما في ١ أخ ١٣: ٢ و٤، في سياق إعادة تابوت العهد في طقوس عبادة، وحيث كان حضور الربّ محسوسًا (رج ١ أخ ١٣: ١٠). في المقابل، اعتمدت السبعينيّة لفظة συναγωγή لترجمة "قَهَل" في الحالات الأخرى، أي في الإشارة إلى تجمّع للشعب، أو إلى جماعة الشعب بشكل عامّ.[١٢]

من هذا المنظار، يستعمل سفر تثنية الاشتراع فعل ἐκκλησιάζω لترجمة فعل "قَهَل" الذي يرد على لسان الربّ، عندما يطلب من موسى **جمعَ الشعب إليه** ليعلّمهم وصاياه. وصار يوم الاجتماع هذا يسمّى في السفر عينه ἡμέρα ἐκκλησίας "يوم الاجتماع" (تث ٤: ١٠؛ ١٠: ٤؛ ١٨: ١٦)، أو ἡμέρα τῆς ἐκκλησίας (تث ٩: ١٠). وعلى نحو مشابه، سبق أن أطلق سفر الخروج (خر ١٢: ١٦)، وبعده سفر اللاويّين[١٣] وسفر العدد[١٤]، تسمية κλητή ἁγία على اليومين الأوّل والأخير المقدّسين من أيّام الفطير. بينما لا نجد في السبعينيّة أيّ استعمال مشابه لكلمة συναγωγή، وهذا أمر يجدر الانتباه له، لأنّه يؤكّد التحليل الذي تقدّمه هذه الدراسة.

استنتاجات

لقد ميّزت الترجمة السبعينيّة لفظة ἐκκλησία عن لفظة συναγωγή، وأطلقتها على اجتماعات الشعب أمام الله لسماع كلامه ولعبادته. ويعود ذلك إلى استعمال ἐκκλησία في الفترة اليونانيّة الكلاسّيكيّة في الحديث عن اجتماعات الشعب الهامّة، أمّا συναγωγή فقد كان لها في تلك الفترة معنى التجميع، ببساطة، وذلك قبل أن تكتسب المعنى الدينيّ الخاصّ في القرن الثاني ق. م. وقد شكّل الاشتقاق اللغويّ للفظة ἐκκλησία، الذي يترجم إيتيمولوجيًّا لفظتا "מִקְרָא" و"قَهَل"، دافعًا آخر لتمييزها عن لفظة συναγωγή. وهذه كانت الحال أيضًا لفظة κλητή، المشتقّة من الجذر اليونانيّ نفسه، والتي حصرت السبعينيّة استعمالها باجتماع الشعب العباديّ في اليومين الأوّل والسابع من أيّام الفطير.

---

[١١] "מִקְרָא هَعِدَا" هي حالة فريدة ترد في عد ١٠: ٢ في الحديث عن الجماعة قبل الوقوف أمام الله، وهذا سبب القول "מִקְרָא هَعِدَا" لا "מִקְרָא־קֹדֶשׁ". لذا لم تترجمها السبعينيّة بأيّ من مشتقّات الفعل καλέω، بل اكتفت بترجمة "عِدا" بكلمة συναγωγή.

[١٢] ثمّة استثناءان يشذّان عن القاعدة، نجدهما في ترجمة السبعينيّة لسفر المزامير الذي تمّت ترجمته إلى اليونانيّة في مرحلة لاحقة، وقد كانت أقرب إلى الترجمة التفسيريّة منها إلى الحرفيّة. الأوّل نجده في مز ٢٥: ٥ حيث ترد كلمة ἐκκλησία بالمعنى السلبيّ (ἐκκλησία πονηρευομένων). والثاني في مز ٣٩: ١١ حيث يمكن أن تشير كلمة συναγωγή إلى الجماعة العابدة للربّ، وهذا يعود إلى المدلول الدينيّ الذي بدأت تكتسبه هذه اللفظة منذ القرن الثاني ق. م. (*Dictionary* 292) حين ترجم سفر المزامير إلى اليونانيّة.

[١٣] لا ٢٣: ٣، ٧، ٨، ٢١، ٢٤، ٢٧، ٣٥، ٣٦.

[١٤] عد ٢٨: ٢٥.

هذه الملاحظات تفسّر غياب لفظة ἐκκλησία عن سفر الخروج، لأنّ السياق الفصحيّ دفع المترجم إلى تفضيل اللفظة κλητή. وفي المقابل، لا ترد "قَهَل" إلاّ بمعنى تجمّع الشعب، وهذا ما جعل السبعينيّة تفضّل ترجمتها في سفر الخروج بلفظة συναγωγή.

لذا يصحّ القول، إنّ جماعة الشعب الواقفة أمام الله لعبادته، ἐκκλησία (أي الكنيسة)، تحضر في سفر الخروج ولو غابت لفظيًّا عنه، وذلك من خلال مفهوم κλητή، الذي يشير إلى الكنيسة الملتئمة في اليومين العظيمين من أيّام الفطير.

بناءً على ما تقدّم، تحثّنا هذه الاستنتاجات على إعادة تقويم ترجمة لفظة "قَهَل" في العهد القديم العبريّ إلى اللغات المعاصرة، التي تميل إلى تبسيط معناها إلى "جماعة" مثلها مثل مرادفتيها συναγωγή وὄχλος. بينما ميّز المترجم اليهوديّ، في القرن ٣ ق. م.، بين ἐκκλησία من جهة، وبين συναγωγή ومثيلاتها من جهّة أخرى. فقد تبيّن لنا بوضوح أنّ اختيار المصطلح ἐκκλησία لم يكن عبثيًّا ومن دون مدلول لاهوتيّ خاصّ.

إنّ فهمنا لتمييز استعمال مصطلح "كنيسة" في ترجمة "قَهَل" بالمعنى الدينيّ التقنيّ الأسراريّ حصرًا، يساعدنا على إدراك سبب اختيار العهد الجديد لهذا المصطلح الذي تبنّته الجماعة المسيحيّة منذ بداياتها دون سواه. فقد خصّه الرسل لترجمة "قَهَل" بالمعنى الدينيّ الذي أراده الربّ يسوع عندما أطلقه على خاصّته، وورد أيضًا رسائل العهد الجديد وفي أعمال الرسل. ونلفت الانتباه إلى وعي القدّيس إستفانوس للمدلول الخاصّ للفظة ἐκκλησία، حين صرّح من دون تردّد: "هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرّيّة مع الملاك الذي كان يكلّمه في جبل سيناء، ومع آبائنا. الذي قبل أقوالاً حيّة ليعطينا إيّاها". وقد كان الشهيد الأوّل يلمّح إلى يوم الاجتماع الذي تحدّث عنه سفر تثنية الاشتراع.

لكن إذا ما أخفقنا في تمييز مصطلح "كنيسة" عن "مجمع" في ترجمة "قَهَل" بالمعنى التقنيّ الدينيّ الأسراريّ، لن يفهم قارئ العهد الجديد الخلفيّة الدينيّة التاريخيّة التي دفعت الجماعة المسيحيّة الأولى إلى تبنّي تسمية "كنيسة" التي صارت تعرّف عن الجماعة الخاصّة بالربّ يسوع إلى اليوم.

أخيرًا، يتبيّن لنا خطأ النظر إلى الكنيسة ضمن إطار اجتماع بشر توحّد بينهم تعاليم مشتركة، والإخفاق في إدراك الكنيسة كسرّ، انتقل من نطاق الأمور الظليّة واستعلن في المسيح يسوع.

المراجع

SCHMIDT K. L., art. "ἐκκλησία", in Gerhard KITTEL, *Theological Dictionary of The New Testament*, vol. 3, translated by Geoffrey W. Bromiley, Eerdmans – Grand Rapids, 1965, 502-503.

SCHRAGE, art. "συναγωγή", in Gerhard KITTEL, *Theological Dictionary of The New Testament*, vol. 7, translated by Geoffrey W. Bromiley, Eerdmans – Grand Rapids, 1971, 802.